حارة ان يكون مستقلا بنفسه مستغنياً عن سواه ولذلك قيل ان الحكومة المصرية كانت تستعين بالاتراك باعتبار انهم اسد نظراً واصدق حكماً لانهم من بلاد باردة . ولكن لعل امتزاج بين المصر بالاتراك من جهة الزواج مما يجعل الصلاح اوفر كما هي الحال الان اذ كثر امتزاج الامتين بالزواج . الا ان اطلاق القول بان الحر والتعقل التام لا يجتمعان مما لم يقم عليه دليل من جهة شعب بجملته وان قام عليه ادلة كثيرة من جهة افراد كثيرين

﴿ شباب الاصقاع وهرمها ﴾
﴿ او مستقبل افريقيا ﴾

فيما بين اصقاع الارض من الاختلاف ما يصح ان يكون شبيهاً بما بين افراد الناس فكما انك ترى هذا لا يزال في مهده ترى ذاك في شبابه والاخر في هرمه والاخر قد جاز حد الهرم كذلك ترى الارض منها ما استعمره الانسان من عهد عهيد حتى لم يعد كماله يطلب المزيد ومنها ما هو حديث العهد بالاستعمار ومنها ما لا يزال في مهد الاستعمار لا يدرى منه شيئاً يذكر ومنها ما يعتبر في حد الجنين لم يظهر لعين ولم يمسسه بشر

اما وصف هذه الاصقاع المختلفة كلها فلا سبيل اليه الان ولكن الصقع الاخر الافريقي جدير منها بالذكر لانه قد اخذ ان يكون شغل العالم الشاغل فهو كانه صبي تعتني امه الدنيا بتثقيفه وتربيته ولكن على احدث طرز ومن بعد كل تجربة وبهذا يؤمل ان يكون عهد شبابه من انضر العهود وقسمته من التقدم احسن القسم

اما الذي ينتظر لهذا الصقع في عهد شبابه وابان اقتباله فاوله السكك الحديدية لانها تلقين المدنية الاول وسيكون نصيبه منها السكة المشهورة التي تمتد الان من رأس الرجاء الصالح الى حد الاسكندرية وقد ذكرنا امرها مرة حين اشارتنا الى امكان اتصال القارات كلها بقضبان الحديد . والثاني سكة في النية انشاؤها وهي تمتد من بلاد الجزائر الى بلاد تمبكتو والسنغال على الاوقيانوس الاتلانتيكي متناولة كل ماهناك من الاصقاع التي لا تزال في عهد الطفولة وهي ستتجاوز اليها الصحراء الرملية العظيمة وربما يعتبر خط مربوط عندنا فرعاً منها فتصبح افريقيا كلها جسما متصل الشرايين بهذه السكك العظيمة التي تعتبر من اطول سكك الارض

اما الموعد الذي يضربونه لبلوغ ذاك الصقع الشاب فلا يزيد عن خمسين سنة وهو يعتبر كهولة لدى الانسان ولكنه لدى قارة عظيمة مثل افريقيا يعتبر تخطياً من سن الفطام الى سن الصبي وقد قدروا انه لا تأتي سنة ١٩٥٧ حتى تكون مدينة رأس الرجاء الصالح ذات مليون نفس من البيض ونصف مليون من السود ولعل القاهرة تصبح في ذاك العهد ذات مليونين والاسكندرية ذات مليون ونصف وربما يكون للخرطوم واكثر بلدان السودان نصيب اوفر من هذا الرقي لان النمو في عهد الصبي يكون اسرع منه في عهد الشباب والكهولة بل في عهد الهرم لان الاسكندرية والقاهرة تعتبران هرمتين او هما مجددتا شباب

ومعلوم ان هذا العصر قد صار معدوداً عصر كهرباء فكل مكان يمكن استخدام الكهربائية فيه باكثر سهولة واقل نفقة من غيره يكون اسرع تقدماً واوفر غنى ولهذا يرجح ان يكون للمنطقة الواقعة فيها شلالات

فيكتوريا العظيمة نفع عظيم جداً بما يتولد من قواها الكهربائية فتصبح كلها متألقة بمصابيحها متحركة الالات بدواليبها كثيرة القطرات بمددها المتصل الذي لا ينقطع ولا يضعف . وقد قدروا من جهة الزرع هناك ان مقاطعة نهر النيجر ستكون ذات محصول من القطن لا يقل عن ثلاثه ملايين بالة في السنة اي انه يكون بمثابة اقليم تكساس في الولايات المتحدة فان محصوله الان يقدر بثلاثة ملايين بالة وزيادة قليلة ولكن تكساس وحدها بعد مرور خمسين سنة تصبح ذات محصول لا يقل عن ١٥ مليون بالة وهو مقدار على عظمه وعظم ما يضاف اليه من سواه لا يعد كبيراً بالقياس الى حاجة الناس في ذاك الزمن لان عددهم يكون قد زاد كثيراً وتكون مدنية اكثرهم قد وصلت الى الاوج كما انه لا يكون في الحضيض منهم واحد

اما اهم محصولات افريقيا بالقياس الى الحاضر فهو المطاط (الكاوتشوك) فانهم يقدرون ثمنه في ذاك الزمن بالغاً عشرين مليون جنيه وسيكون البيض الذين يقطنون في اراضي ذاك المحصول بالغين مليوني نفس يضاف اليهم نحو ثمانية ملايين في سائر الاصقاع المهملة الان وبهذا يصبح الابيض سيد افريقيا وحاكمها والاسود العامل الجادّ فيها كما هو الشأن في امريكا الان ولعل عدد السود يتناقص بازدياد عدد البيض لان المدنية لا بد ان تهلك منهم مقداراً عظيماً مهما انتشر الطب بينهم وامتد لانه لا يكون الطب وسائر ذرائع البقاء قد مشت شبراً حتى يكون السكر وسائر اسباب الفناء قد مشت ميلاً

اما ما يقدرونه لهذه القارة من اسباب الرقي بعد خمسين سنة فهو انه يكون فيها ١٥٠ الف ميل من الخطوط التلغرافية والتلفونية و٣٠ الف ميل

من طرق المركبات السيارة (الاوتوموبيل) و٤٠ الف ميل من طرق الحديد . وسيكون فيها ايضاً الف باخرة تمر في انهارها ويكون المستخرج من بعض اصقاعها من الحديد وحده بالغاً من الثمن عشرين مليون جنيه في السنة اما سائر ما يتم من اسباب المدنية بعد خمسين سنة من نحو انشاء معامل ومقاطع اخشاب من غاباتها العظيمة وما يشاد من ابنية ويستجد من مدن فما لا يضبطه الان التصور لانه لا يدري احد ما سيستجد من الاختراعات في هذا العهد الطويل ولكن لا ريب ان افريقيا الان تعد في زمن الطفولة واقبال الحياة والعلم وهي ستكون بعد خمسين سنة شاباً في مقتبل العمر والقوة في حين يكون غيرها قد شاخ او توقف نموه او اخذ يستجد شبابه ولكن الذي قلناه في المقال الآنف عن تأثير الجو في العقل مما يكون من جملة العوامل المبعدة ذاك العهد الى اكثر جداً مما قدّروا لان العقل والحر الشديد لا يجتمعان الاجتماع الكافي في امم باسرها وان صح اجتماعهما في الافراد ولهذا سيكون موت الاوروبيين من الحر وامراضه شديداً حتى لا يقطن افريقيا الا المضطر الطامع كما هي حال اكثر الاجانب فيها الان ثم ان السداد التام لا يكون صادراً منهم بل يكون الصواب وارداً اليهم من الخارج كما هي حال كل البلاد الافريقية التي يحكمها الاجانب فان تدبيرها من نفس ممالك المستعمرين انما هو اكثر من تدبيرها من نفس وكلاء تلك الممالك فيها . ولعل الطبيعة التي لا تغلب تكون مؤيدة لقول بسمارك وهو ان افريقيا مقبرة اوروبا فهي اذا لم تمت فيها بحرها ماتت بحروبها ولعله لا يكون الحاكم فيها بعد حدوث الترقي العظيم الا ابن مصر فانه اذكى

هل افريقيا بالاطلاق من جهة واقدرهم على احتمال الحر واقتياد الشعوب سود من جهة

حديث الانيس

كان السائحون الذين يقصدون سويسرا للصعود الى اعالي قننه يتضايقون بل يموتون سقوطاً او برداً بين ثلوجها المتراكمة اما الان فقد تكفل الانسان هناك بدفع كل هذه العقبات اذ قد تألفت شركات باموال طائلة لنقل ذلك الثلج الكثيف والتبرد به في المدن العظمى وهم ينسفونه بالديناميت فيسقط من اعاليه الشاهقة الى الاودية ويتكدس فيها كالحجارة فيقطعونه على الحجم الذي يختارونه وينقلونه بالقطرات الى باريز وسواها من المدن العظمى القريبة حيث يباع في اسواقها كالجليد المصنوع ولكنه ارخص منه ثمناً لان الطن منه لا يكلف اكثر من ستة شلنات . وهم يفعلون مثل ذلك في اميركا حين تجمد بحيراتها العظمى في الشتاء فينقلون ماءها المتجمد ويستعينون به على التبريد مع الجليد المصنوع ولولا ذلك لكان ثمن الجليد فوق احتمال الفقير

* * *

تعد الحبوب عمدة عظيمة من عمد الطعام بل قد تعد العمدة الوحيدة لمن يعتمد عليها دون ان تتأثر صحته او تضعف قوته ولكن كثيرين ولاسيما